

المصدر: عمان
التاريخ: ٢ مارس ٢٠٠٣

تركيا والحرب الأمريكية ضد العراق

لواء أ.ح / طه المجدوب

ومن هنا فإن معارضتها للخطط الأمريكية في المنطقة لابد أن يعامل بحذر ودقة دون المساس بالمصالح الأساسية التركية. من العوامل المهمة والمؤثرة على سياستها الإقليمية علاقات تركيا بالعالم العربي ومحاولات توثيق علاقات الصداقة والتعاون مع العرب. وقد برز اهتمامها بهذه العلاقات من خلال جهود تركيا بشأن عقد المؤتمر الإقليمي الذي شاركت فيه دول عربية وإسلامية هي مصر وسوريا والسعودية والأردن فضلا عن إيران. يضاف إلى ذلك العوامل الداخلية وحالة الركود الاقتصادي التي تعاني منها تركيا وتسعى للخروج منها وأخيرا تفادي السلبات التي نجمت عن تجربتها في التعاون مع الولايات المتحدة في حرب الخليج الثانية.

في إطار العوامل عارضت تركيا شن الحرب ضد العراق وأبدت من البداية تخوفها من فتح جبهة شمالية ضد العراق عبر أراضيها. وكانت البداية في أغسطس من العام الماضي عندما قام نائب وزير الدفاع «بول وولفوتيز» بزيارة لانقرة لإقناع حكومتها بالمشاركة في الحرب ضد العراق. وفي أوائل ديسمبر عاود «ولفوتيز» - أحد صفوف الإدارة الأمريكية البارزين - زيارته لانقرة بعد حدوث تغيرات كثيرة في نهر السياسة التركية بينما زادت إرادة الحرب الأمريكية إصرارا - ليطلب السماح بتمركز ثمانين ألف جندي أمريكي في الأراضي التركية وكذا السماح للقوات باستخدام المطارات والأجواء والموانئ والأراضي التركية خلال الهجوم على العراق.

ولكن الاتراك رفضوا هذه المطالب وقالوا أنهم قد يسمحون بقوة تتراوح بين ١٠، ٢٠ ألف جندي وهو عدد لا يكفي ليشكل خطرا حقيقيا على العراق. وكان هذا الموقف التركي ضربة قوية لخطط الحرب الأمريكية ذلك لأن العراق يستطيع في غياب أي تهديد من الشمال أن يحتشد معظم قواته في الجنوب الأمر الذي يعقد الاجتياح الأمريكي المنطلق من الكويت. ومع ذلك سمح الاتراك ١٥٠٠ جنديا أمريكيا لتفقد الموانئ والقواعد الجوية ليروا ما تحتاج إليه من إضافات وتعديلات في حالة نشوب الحرب.

عوامل أساسية تحكم الموقف التركي تجاه الحرب:

في إطار تحركها الحذر حذت تركيا حذو فرنسا حين أعلنت أنها لن تتخذ أية خطوات تجاه الحرب إلا بعد صدور قرار من مجلس الأمن بعد استنفاد كل الوسائل السلمية مع العراق وأن يمنح تفويضا بشأن الحرب ضد العراق حتى تسمح باستخدام مجالها الجوي ومنشآته العسكرية. وهي لا تستطيع أن تقوم بأي عمل قبل صدور قرار مجلس الأمن باستخدام القوة وعرض الأمر على البرلمان التركي. وهذا يعني فرض شروط إضافية أمام مساهمة تركيا في الحرب ضد العراق بأية صورة من الصور. فالحزب الحاكم في أنقرة حزب العدالة والتنمية يمثل القاعدة الشعبية الأوسع ويتمتع بأكثرية في البرلمان. وتعارض القاعدة الشعبية الحرب بغالبية مطلقة وإذا ما صوت البرلمان ضد المشاركة إذا لم تتوفر الشروط التي تغريه بالموافقة فسيكون ذلك مصدر حرج للولايات المتحدة. من ناحية أخرى لم ينس الاتراك تجربتهم الاقتصادية الصعبة التي خاضوها منذ حرب الخليج الثانية والتي أشاروا إليها خلال مفاوضاتهم مع واشنطن وإلى أنهم خسروا ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ مليار دولار من مواردهم التجارية خلال الاثني عشرة سنة الماضية نتيجة للعقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق. وقد عانت الولايات التركية المتاخمة للعراق أسوأ العواقب من الحصار الاقتصادي الذي دفع بالآكراد الناقمين والعاطلين عن العمل إلى الانتفاضات نحو العمل السياسي وحمل السلاح ضد الدولة.

لذلك اعتبر الاتراك أن مبلغ ملياري دولار الذي عرضته الولايات المتحدة والذي ارتفع إلى ستة مليارات دولار بعد ذلك لا يفي بالغرض ولا يكفي لتعويض الخسائر المتوقعة من الحرب وتعتقد تركيا أن الحرب ستلحق المزيد من الخسائر بتجارتها مع العراق الأمر الذي يتطلب تعويضات بالغة. إن تركيا تريد التعامل التجاري مع العراق لا شن الحرب ضدها وهذا يعكس مدى حرص تركيا على هذه العلاقات التجارية الثمينة مع العراق وتنميتها. ومن أبرز المخاوف التي تراود تركيا

لاشك أن موقف تركيا تجاه

المطالب الأمريكية بشأن الحرب

الأمريكية ضد العراق يشوبه

الكثير من التعقيد وتتجاذبه عدة

عوامل مهمة ومؤثرة يقيّد

حريتها في التحرك تجاه الأزمة

العراقية وتطلب جهدا فائقا

للتوصل إلى الحل المناسب.

وأول هذه العوامل العلاقات

الاستراتيجية الوثيقة والقديمة

مع الولايات المتحدة فضلا عن

ارتباطها بحلف شمال الأطلسي.

كذلك علاقاتها العسكرية

والاقتصادية مع إسرائيل منذ

منتصف التسعينات الأمر الذي

أتاح لتركيا فرصة الحصول على

تأييد اللوبي اليهودي الفعال مع

الولايات المتحدة.

وتؤثر على سياستها أن يؤدي الاجتياح الأمريكي الى تفكك العراق ودفع الأكراد في الشمال إلى إعلان دولتهم المستقلة. مثل هذا الوضع من شأنه أن يعيد اشتعال الفتنة الانفصالية لدى أكراد تركيا ويهدد وحدة أراضيها. إذ لا يمكن أن تنسى تركيا الحرب المدمرة التي خاضتها خلال ١٥ عاما ضد الحزب الانفصالي الكردي والتي انتهت باعتقال زعيم الحزب عبدالله أوجلان. ولا تطمئن المصادر التركية المختلفة أو تثق في قدرة الولايات المتحدة في السيطرة على المواقف في شمال العراق إذا ما أدت الحرب إلى تفكك تركيا. فالتجربة الأفغانية لا تبعث على التفاؤل حيث مازال الزعماء العسكريون الأفغان خاصة في المحافظات النائية مستمريين في تحدي السلطة في العاصمة كابول. لذلك يسعى الأتراك إلى الحصول على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة للدخول الى شمال العراق بمجرد شعورهم أنه لابد من توجيه ضربة حاسمة وقاضية لحركة الأكراد الانفصالية. وفي ظل هذه التداعيات المحتملة فإن أكثر ما يخشاه الأتراك ليست الحرب ضد العراق ولكن العواقب التي يمكن أن تنجم عنها. فرغم ثقتهم في قدرة الولايات المتحدة سواء وحدها أو مع حلفاء آخرين على الانتصار في الحرب ولكن هذا الانتصار لن يكون قادرا على منع حدوث الفوضى التي قد تمتد إلى الدول المجاورة للعراق.

الضغوط الأمريكية على تركيا بين الترغيب والترهيب :

في ديسمبر ٢٠٠٢ عاودت الادارة الامريكية اتصالاتها المباشرة مع الحكومة التركية الجديدة حين قام بول وولفوتيز بزيارة ثانية لأنقرة. وقد ركز في حديثه مع رئيس الوزراء التركي عبد الله جول على أهمية التعاون والتنسيق بين أنقرة وواشنطن في جميع مراحل القضية العراقية مشيرا إلى أن تركيا ستكون الدولة الأكثر استفادة من تغيير النظام في العراق. وفي محاولة للربط بين المطلب الأمريكي والمصالح الجوهرية التركية تحدث وولفوتيز عن الموقف الأمريكي تجاه تركيا للصحفيين متناولا عدة قضايا تهم تركيا قائلا: ان واشنطن تقف إلى جانب أنقرة في مساعيها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحل المشكلة القبرصية ومساعدتها على تجاوز أزماتها الاقتصادية والمالية. وقد اعتبرت المصادر الدبلوماسية في أنقرة أن أقوال وولفوتيز تمر بمرحلة حساسة وصعبة خاصة مع الحكومة الجديدة التي تواجه العديد من القضايا المعقدة. وقد سبقت زيارة وولفوتيز لقاء قمة بين الرئيس الأمريكي جورج بوش والرئيس التركي أحمد نجديت سيزار خلال اجتماع قمة حلف شمال الاطلسي الذي عقد في براج في نوفمبر الماضي. في ذلك الوقت رفض الرئيس التركي المطالب التي تقدم بها بوش. وقد كرر المسؤولون الأتراك لولفوتيز تحفظهم على العمل العسكري عبر الأراضي التركية ووعدها فقط بتقديم بعض التسهيلات للطائرات الأمريكية التي ستنتقل من قاعدة انجريك التركية وفق اتفاقية التعاون العسكري بين البلدين. كما قرروا رفضهم المطلق لاحتمالات قيام دولة أو كيان كردي مستقل شمال العراق. حيث سيوجد ذلك مشاكل خطيرة لتركيا والمنطقة عموما. وهذا يعني انه إذا ضمنت تركيا عدم قيام دولة كردية شمال العراق وحصلت على المساعدات الكبيرة التي طلبتها فإن صدور قرار دولي يعطي تفويضا لواشنطن بشأن الحرب سوف يخفف من المعارضة الشعبية الواسعة لمشاركة تركيا في الحرب. من ناحية أخرى تتصاعد الضغوط الأمريكية على الحكومة التركية. فقد أعلن مسؤول أمريكي في يناير الماضي في حديث نشرته الصحيفة التركية «صباح» ان تركيا سوف تفقد حزمة من المساعدات الاقتصادية الأمريكية ما لم تشارك في العملية العسكرية على العراق وأنه لن يؤخذ رأي أنقرة حول مستقبل العراق بعد الاطاحة بنظام صدام حسين. كما أشار إلى أنه لم يعد هناك وقت كاف أمام الولايات المتحدة وانها اتخذت بالفعل قرارا بإجراء تعديلات على خططها العسكرية على أساس ان تركيا لن تشارك في العملية في الجبهة الشمالية. كما أكد ان التوتر المتصاعد بين أنقرة وواشنطن دفع الولايات المتحدة إلى إعادة النظر في خططها العسكرية وأنه تم اتخاذ قرار باعداد خطة جديدة لاتشارك فيها تركيا. ورغم ذلك كله ورغم كل هذه التصريحات إلا أن

الولايات المتحدة لم تتوقف عن بذل الجهد لمشاركة تركيا في الحرب فإن القرار النهائي بالتخلي عن الجبهة الشمالية لن يتخذ عاجلاً. وفي هذا الإطار بذلت الإدارة الأمريكية جهودها من أجل اقناع حلفائها في الاتحاد الأوروبي بفتح الباب أمام تركيا حتى يمكنها القفز في قطار الاتحاد الأوروبي كأحد مفردات ثمن مشاركة تركيا لها في ضرب العراق. ولعل الجهد الذي بذلته بريطانيا الحليف الأول لواشنطن في القارة الأوروبية في هذا الاتجاه ومحاولة اقناع جيرانها باعطاء وعد يدعم مفاوضات انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي قبل عام ٢٠٠٤.

أهداف وابعاد جولة جول في المنطقة وارتباطها بالموقف التركي تجاه الحرب:

مع تزايد الضغوط الأمريكية لدفع تركيا نحو المشاركة في الحرب وجهت تركيا جهودها نحو الدول الإقليمية من أجل تحقيق جهد مشترك معارض لشن الحرب ضد العراق فقام رئيس الوزراء التركي عبدالله جول خلال يناير الماضي بزيارة لمنطقة الشرق الأوسط تضمنت خمس دول عربية وإسلامية هي مصر وسوريا والسعودية والأردن وإيران وقد استأثرت الحرب الأمريكية ضد العراق التي يعلو صوت طبولها يوماً بعد يوم بالنصيب الأكبر من الاهتمام خلال مباحثات جول مع الزعماء العرب الذين التقى بهم. وقد أحاطت بهذه الجولة أجواء التصعيد العسكري الأمريكي نحو ضرب العراق مع احتمالات لتجاوز العراق إلى ما هو أبعد من أهداف أمريكية وإعادة رسم خريطة المنطقة وفق ارادة ومصالح واشنطن وتل أبيب الأمر الذي أثار قلق الحلفاء وعلى رأس هؤلاء تركيا التي تخشى مستقبلاً على المنطقة أن تخضع للسيطرة الأمريكية وكان هذا القلق أحد الدوافع التركية الأساسية للسعي نحو تجنب وقوع الحرب في مواجهة الضغوط الأمريكية التي تضع تركيا في موقف شديد التعقيد فتركيا لها علاقات قوية استراتيجية مع الولايات المتحدة التي تريد فتح جبهة ضد العراق عبر الأراضي التركية. لذلك وخشية من تداعيات الحرب واحتمالات تفكك العراق وبروز مشكلة الاكراد بشدة. تبذل تركيا جهوداً مستمرة لاقناع الولايات المتحدة بضرورة الحفاظ على وحدة أراضي وسيادة العراق بينما هي تضغط على تركيا للحصول على دعمها في الحرب. في هذا الإطار كان الهدف الأساسي لجولة جول في الشرق الأوسط هو نيل التأييد العربي للجهود السلمية ومنع اشتعال الحرب ضد العراق. وقد ترتب على هذه الجولة الناجحة انعقاد المؤتمر الاقليمي لهذه الدول في اسطنبول لنفس الغرض وهو بحث وسائل تفادي وقوع الحرب في المنطقة والتوصل إلى حل سلمي للمشكلة العراقية وإيجاد أرضية مشتركة لتحقيق هذا الهدف وتجنب تركيا والمنطقة ويلات الحرب وتدابيراتها الخطرة المنتظرة. ورغم استمرار وتصاعد الضغوط الأمريكية تتمسك تركيا بموقف مبدئي نابع من خشيتها مما قد يحدث من تداعيات خطيرة محتملة للحرب ولذلك تلجأ تركيا إلى المساومات والتقدم بطلبات ضخمة. وهي تستند في هذا الموقف إلى الدعم الشعبي الكبير الرافض للحرب باعتبارها ليست حرب تركيا ومع ذلك تظل المشكلة الجوهرية التي تواجه تركيا ان تكون مستعدة للتعامل مع كل الاحتمالات والتدابير والعواقب.

ان جولة عبدالله جول رئيس وزراء تركيا التي امتدت عشرة أيام تعبر تعبيراً صادقاً عن حالة الحيرة والتردد التي تنتاب الموقف التركي والرغبة الجارفة في تنظيم جهد اقليمي واسع تشارك فيه الدول العربية اضافة لايران من أجل تجنب المنطقة وتركيا أساساً الآثار المدمرة التي يمكن أن تسفر عنها الحرب خاصة إذا طال أمدها وامتدت إلى خارج الساحة العراقية. وقد أعرب النائب البرلماني التركي رسول طوسون عن الارتياح البالغ لجولة جول في المنطقة العربية واعتبرها خطوة صائبة في الاتجاه الصحيح والتوقيت المناسب خاصة وانها تصب في توطيد العلاقات العريقة بين العرب والأتراك. وللحديث بقية.